تلمسان من نشأتها
إلى قيام دولة بني عبد الواد

لطيفة بن عميرة

يذهب أغلب المؤرخين إلى القول إن تلمسان قديمة النشأة، ومن بينهم الإدريسي الذي يقول عنها إنها «أزلية» [1]، وأبو عبيد البكري الذي يقول إن: «فيها لِلأول آثارا قديمة» [2]. ويذكر الرحالة الحسن الوزان المعروف بـ (Léon l'Africain)، والذي زار المنطقة في القرن السادس عشر، وسجل ماشاهده في إمارة تلمسان، أن هذه المملكة كانت تسمى في العهد الروماني قيصريَّة وكانت خاضعة لسلطة الرومان. [3]

وقد اهتم الباحثون في العصر الحديث بدراسة آثارها، ، فتوصلوا إلى أن منطقة تلمسان عرفت استقرار الإنسان منذ عصر ما قبل التاريخ. [4]

كما عثر على مخلفات أثرية تعود إلى العصر الروماني [5] وهي عبارة عن:

ا) نقوش لاتينية: مازالت تظهر على بعض الصخور المتناثرة، التي يدل شكلها على أنها تعود إلى العصر الروماني، وأهمها: نصين نذريين للإله أوليسفا كتبهما ضابطان في الجيش الروماني، ويحمل النصب الأول إسم صاحبه ومهنته واسم الإمبراطور الإسكندر سيفير (Alexandre sévère) (222 ـ 235م)، وقد استعملت هذه الصخرة في بناء مئذنة مسجد أجادير فيما بعد والنصب الثاني يحمل أيضا اسم ومهنة صاحبه، وهو ضابط في جيش الفرسان ومقتصد خاص بأموال الإمبراطور قورديان (Gordien) (238 ـ 244م)؛ وقد نسب الضابطان نفسيهما إلى بوماريا (Pomariensiens) [6] وهذا هو المهم.

ب) وعثر على شاهدي قبرين: يحمل أحدهما اسم إمرأة بوماريا والآخر اسم طفل لأحد ضباط الفرسان في الجيش الروماني عاش ثلاث سنوات وعشرة أيام [7].

جـ) عثر على نصبة أميال [8] قرب مغنية كتب عليها أن هذا الموضع ، يبعد عن بوماريا 29 ميلاً (أي حوالي 52 كلم) وهي المسافة التي تفصل مغنية عن تلمسان[9]. ونصبة أميال أخرى في مقبرة يهودية بتلمسان سُجّل فوقها «إن الإمبراطور الإسكندر سيفر حفيد الإمبراطور سبتيم سيفر أمر الوالي الروماني – تيتوس أوليوس ديكـــريـانوس... (Titus Aélius Décrianus) بوضع نصب أميال جديدة – جمهورية بوماريا [10]

ومن خلال هذه الآثار الباقية من العهد الروماني استطاع الباحثون أن يستنتجوا بعض المعلومات التاريخية عن تلمسان منها: أن الكتابات اللاتينية تدل على الوجود الروماني، والأسماء الوارد ذكرها في النصيبين النذرين، سمحت بالتعرف على وجود رعايا رومان وجيش من الفرسان يقيم في مركز عسكري أطلقوا عليه اسم «بوماريا» [11] أي البساتين.

وقد حدّدت هذه الفترة بفضل العثور على إسمي الإمبراطورين: الإسكندر سيفير وجورديان، وتعود إلى القرن الثالث الميلادي، فالأول حكم بين سنتي 222 و235م، والثاني من سنة 238 إلى 244م [12]. وفي هذه الفترة وصلت حدود الإمبراطورية الرومانية في شمال إفريقيا إلى تلمسان ومغنية [13]. ويضيف الضابطان إلى إسميهما هذه النسبة (Pomariensiens) أي البوماريانيان مما يتبين أنهما من بوماريا [14].

ويستنتج مارسي (G. Marçais) أن جنود الفرسان كانوا يقيمون في مراكز يراقبون منها السكان الذين يرفضون الخضوع لدولتهم، ويقاومونهم [15]. ومن بين تلك المراكز: مركز بوماريا وكان يقع في مفترق طرق عسكرية، يمر أحدها عبر ألبالاي (Albulae) ، عين تموشنت اليوم)[16]؛ ويربطها بميناءي بورتوس ديفيني (Portus Divini) (مرسى الكبير)[17]؛ ويصلها بسيكا (Siga) [18]، ومينـــــــــائها بورتوس سيجينسيس (Portus sigensis) الواقع عند مصب (وادي تافنة)؛ وطريق آخر يمر عبر إفريقية الرومانية ويربط الشرق بالغرب قرب الحدود الجنوبية [19].

فبوماريا التي تقع بين موريطانية غرباً ونوميديا شرقاً كانت في البداية معسكراً محصناً تقيم به فرق من جيش الفرسان تهتم بالحفاظ على الأمن في البلاد [20]. ثم تطوّرت لتصبح أيام حكم الإسكندر سيفير جمهورية تتمتع بنظام سياسي، كما هو

واضح من خلال كتابات وجدت فوق إحدى نصب الأميال [21]. وتعتبر الشواهد وبعض النقوش الأخرى التي بقيت فوق عتبة مسجد أجادير دليلاً على استقرار جنود الرومان هناك. وقد سمحت لهم السلطة بالزواج والعمل [22]، ويحدد (Mac carthy) ، الذي زار تلمسان في بداية الإحتلال الفرنسي، موقع بوماريا بالزاوية الشمالية الغربية من المدينة الحالية، وكانت مساحتها حوالي ستة عشر هكتاراً [23].

فبوماريا إذن تطورت من معسكر صغير إلى مدينة عسكرية، وقد اختارها الرومان بسبب موقعها الإستراتيجي، فهي تشرف شمالاً على البحر وكذلك على المناطق الشرقية والغربية وجنوباً على الصحراء، فمن خلالها كان الرومان يراقبون تحركات السكان المتشرين في تلك الضواحي.

وعندما زحف الوندال على شمال إفريقيا وتزلوا بوهران[24]، مرّت إحدى فرقهم بألطافا (أولاد ميمون) على بعد ثلاثين كيلومترا من بوماريا، ولا يستبعد أن يكونوا قد وصلوا إليها وخرّبوها [25] وهو ما يفسر إختفاءها بعد ذلك.

وكان سكان بوماريا آنذاك وثنيين وفي الغالب يعبدون إلها يُسمى أوليسفا [26].

وفي القرن الخامس الميلادي انتشرت بينهم المسيحية كما تدل على ذلك شواهد قبور عثر عليها هنا وهناك [27]. ويذكر البكري أن بها «... بقية من النصارى إلى وقتنا هذا (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي) ولهم بها كنيسة معمورة...» [28].

وبعد إختفاء بوماريا، ظهرت مكانها أجادير[29] التي يصفها إبن خلدون بـ «قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة» [30]. ولا يبين كيف ومتى اختفت تسمية أجادير، وظهرت تسمية تلمسان في قوله وهو يتحدث عن أجادير: «... اختطها بنويفرن بما كانت في مواطنهم... ولم نقف لها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق بأن أبا المهاجر دينار الذي ولي إفريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثانية، توغل في ديار المغرب، ووصل إلى تلمسان وبه سميت عيون أبي المهاجر...» [31]

وقد أخذت تلمسان تلعب دورها في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي منذ قيام ثورة ميسرة المطغري سنة 122هـ / 739م [32]، عندئذ وجه الوالي الأموي عبيد الله ابن الحنجاب [33] قائده أبا خالد حبيبا بن أبي عبيدة [34] من جزيرة صقلية على رأس جيش ليشارك في إخضاع ذلك الثائر الصفري بطنجة [35] لكنه عندما وصل إلى

تلمسان بلغه أن معركة الأشراف انتهت فمكث بها إلى أن التحق به الوالي الجديد كلثوم بن عياض القشيري [36] وابن أخيه بلج ثم انطلقوا منها لخوض معركة وادي سبو [37] ضد الخوارج الصفرية [38].

وتتصدر تلمسان الأحداث في عهد أبي قرّة اليفرني [39] الذي أعلى نفسه خليفة بها وتزعم الخوارج الصفرية في ثورتهم ضد عمال الخلافة العباسية بالقيروان. [40] وعندما انهزم عاد «إلى مواطنه بنواحي تلمسان...» [41].

ويذكر ابن خلدون أن إبراهيم بن الأغلب نزل بها عندما قام بحملة ضد أبي قرّة [42].

وفي رجب 173هـ / نوفمبر ديسمبر 789م، نزل إدريس بن عبد الله [43] مؤسس الدولة الإدريسية قرب المدينة «فتلقاه محمد بن خزر بن صولات أمير زناتة وتلمسان، فدخل في طاعته وحمل عليها مغراوة وبني يفرن وأمكنه من تلمسان فملكها...» [44].

وبقي بها إدريس بضعة أشهر، بنى خلالها مسجداً أمر أن يكتب على منبره: «بسم الله الرحمن الرحيم»، هذا ما أمر به الإمام إدريس بن عبد الله... وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة (جوان جويلية 790م) [45]. ثمّ عاد بعد ذلك إلى عاصمته وليلي. وتذكر بعض المصادر أنه ولى على تلمسان أخاه سليمان [46]، غير أن بعضها الآخر يذكر أن هذا الأخير قتل في وقعة فخ مع الحسين [47] أو هو إلتحق بتلمسان بعد مهلك أخيه، ويمكن أن يكون إدريس قد ولى على تلمسان محمد بن خزر المغراوي [48].

ثمّ بويع إبنه إدريس الثاني يوم الجمعة 7 ربيع الأول سنة 187هـ [49] / فيفري 803م، وتوجه بدوره إلى تلمسان [50] وبقي بها ثلاث سنوات [51] وأقطعها «لمحمد ابن عمه سليمان» [52] الذي يكون نزل بها قبله [53].

وعاد إدريس الثاني إلى فاس سنة 199هـ [54] / 814 ـ 815م ومات بوليلي سنة 213هـ [55] / 828 ـ 829م.

وقد اقتسم بنو محمد بن سليمان تلمسان وما جاورها بعد وفاة أبيهم على غرار ما فعله بنو عمومتهم، الأدارسة بفاس، واستقل كل واحد منهم بمدينة أوبحصن [56]. واختلطت أسماؤهم على المؤرخين، فيذكر بعضهم أن تلمسان كانت من نصيب القاسم بن محمد بن سليمان [57]؛ أو هي من نصيب عيسى بن محمد بن سليمان،

المكنى بأبي العيش والأرجح أنها كانت لهذا الأخير [58]. وأهم المدن والحصون التي توارثها العلويون من بني سليمان، والتي شملتها فيما بعد، الدولة الزيانية هي: جراوة [59] وأرشقول [60] ومدينة العلويين [61] وثمطلاس [62] وترنانا [63] وحمزة [64] وتنس [65].

وقد سيطر بنو محمد بن سليمان على تلمسان وأعمالها من بداية القرن الثالث (التاسع) إلى بداية القرن الرابع (الحادي عشر) بدأوا يضعفون، وأخذ الزناتيون يسترجعون أمصارها شيئاً فشيئاً بقيادة محمد بن خزر [66]، الذي كان يشكل أكبر قوة بالمنطقة بدليل أنه تصدى وحده للفاطميين عند استيلائهم على مدينة تاهرت [67]. وكان أبو عبد الله الشيعي [68] قد تمكّن من تأسيس الدولة الفاطمية برقادة [69] سنة 297هـ / 910م على حساب الدولة الأغلبية [70]، ودولتي بني رستم في تاهرت [71] وبني مدرار بسجلماسة [72] في نفس السنة، وخلص عبيد الله المهدي [73] وإبنه أبا القاسم من السجن ثم عادوا جميعا إلى رقادة ودخلوها في 20 ربيع الآخر سنة 297هـ / ديسمبر ـ جانفي 909 ـ 910م، وتركوا على تاهرت أبا حميد دواس بن صولات اللهيصي [74] وعلى سجلماسة إبراهيم بن غالب المزاتي [75]، وقد ثار أهل سجلماسة على العامل الشيعي، وهاجم محمد بن خزر مدينة تاهرت، وهو ما لفت نظر خصمهم أمير قرطبة، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله [76] الذي بادر بإيفاد مبعوثا هو محمد بن عبد الله بن عيسى إلى محمد بن خزر ليستميله فلقي منه استجابة [77] وازداد قوة ونشاطا، فملك مناطق واسعة حول تلمسان [78]، لحساب الخلافة الفاطمية التي اتخذت منها قاعدة لإيقاف الزحف الفاطمي نحو الغرب. وتحولت تلمسان وأعمالها إلى منطقة صراع بين الخلافتين الأموية بالأندلس والفاطمية بإفريقية، استمر إلى أن رحل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر 361هـ / 971م [79].

بعد ذلك أخذ أمراء مغراوة يتنافسون على السلطة بها، ولم يصف الجو لزيري ابن عطية، منهم، إلا سنة 378هـ [80] / 988 ـ 989م، وبفضل تدعيم المنصور بن أبي عامر [81] حاجب خليفة الأندلس هشام المؤيد بالله [82]، له إلا أن ذلك التدعيم لم يمنع إبن عطية من إعلان تمرده على السلطة الأندلسية التي لم يعد لوجودها بالمغرب الأوسط أي مبرر، مادام الفاطميون صرفوا عنه أنظارهم نهائيا إلى بلاد المشرق. لكن

تلك السلطة تشبثت بنفوذها في المغرب وحافظت عليه إلى أن اشتعلت نار الفتنة في الأندلس سنة 398 أو 399هـ / 1007 أو 1008م [83].

وبقيت السلطة بتلمسان بيد الأمراء المحليين، من مغراوة وبني يفرن الزناتيين، إلى أن قامت دولة المرابطين [84] واستقر يوسف بن تاشفين [85] بمراكش، وبدأ يتوسع شرقاً، فوجه حملة إلى المغرب الأوسط، قادها مزدلي تبلكان، فهزم القائد يعلى بن أمير تلمسان بختي [86]، وعاد مزدلي دون أن يستولي على عاصمته، وبعد ثلاث سنوات قاد يوسف بنفسه، حملة كبيرة نحو الشرق، فهاجم مغراوة ثانية في تلمسان، وقتل أميرها العباس بن بختي واستولى على المدينة، وواصل طريقه، ففتح وهران وتنس والونشريس والجزائر وعاد إلى مراكش سنة 475هـ [87] / 1078 ـ 1079م، وترك محمد بن تينعمر المسوفي قائد الجيوش بتلمسان، فبنى بها محلة (أي معسكراً) سماها تاكرارت [88]، أصبحت ثغرا من ثغور المرابطين في المغرب الأوسط [89] يشنون منه الغارات على أراضي الدولة الحمادية [90]، وبقيت تابعة لهم إلى أن استولت عليها قوات الموحدين بقيادة عبد المؤمن [91] (524 ـ 558هـ / 1130 ـ 1163م) واستمرت تحت سلطتهم إلى ما بعد انهزامهم في موقعة العقاب بالأندلس سنة 609هـ [92] / 1212م وعندئذ بدأ التفكك يسري في جسم دولتهم وزاد في ضعفها سوء العلاقة بين الأمراء وشيوخ القبائل ونتج عن ذلك استقلال الحفصيين، بإفريقية ثمّ استقلال بني عبد الواد بتلمسان.

فمدينة تلمسان تقع بين الصحراء والتل، وتشرف على البحر الأبيض المتوسط، وهي وسط بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، وقد استقر الإنسان بها منذ عصور قديمة، ثم نزلها الرومان، فأنشأوا بومارية، وهي مركز لجيش الفرسان يحمي خطوط الليمس.

وفي العهد الإسلامي حلّت محلها أجادير، وكان لها دور بارز في الأحداث التي جرت في المنطقة، ولما قدم إليها إدريس الأول، بنى بها مسجداً، وأصبحت تابعة لفاس، عاصمة الأدارسة، واستقل بها بنو عمومتهم السليمانيون، ثم أصبحت محل صراع بين الفاطميين بإفريقية وأنصار الأمويين بالأندلس، وعندما زحف المرابطون على المغرب الأوسط، أمر يوسف بن تاشفين أميرهم ببناء تاجرارت قرب أجادير، فأصبحت تابعة لمراكش، وتطوّر بها العمران والعلوم والتجارة.

وكانت تلمسان من المدن التي استفادت من الزحف الهلالي على المغرب الأدنى، وذلك باستقطابها طرق التجارة بين الشمال والجنوب والشرق والغرب. ثم فتحها الموحدون وأقطعوا بني عبد الواد المناطق المجاورة لها، بين البطحاء وملوية، مقابل الولاء لهم. وعندما ضعفت سلطة الموحدين استقل بنو عبد الواد واختاروا تلمسان عاصمة لهم.

الهوامش:

(1) الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) نشره هنري بيريس، الجزائر، 1957، ص 54؛ ويلاحظ هنا أن عبد الرحمن بن خلدون ينفي أزلية تلمسان، فهو يربطها بأسطورة شعبية، انتشرت آنذاك في المدينة، وملخصها أن السكان يحملون جدارا قديما في ناحية من أجادير (الحي القديم) هو نفسه الجدار الذي ورد ذكره في القرآن، والذي التقى عنده الخضر وموسى عليهما السلام (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، طبعة مكتبة المدرسة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959 و 1968، مجلد 7، ص 156 ـ 157؛ ويورد أبو زكرياء يحي ابن خلدون هذه القصة وقصصا أخرى تشبهها (عنها، أنظر: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1980، جـ 1، ص 90 ـ 91)

(2) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)، الجزائر، 1857م ص 76.

(3) Léon l'Africain: Description de l'Afrique Nouvelle, Ed. traduite de l'Italien par A. Epaulard, PAris VI, 1956, P. 323.

(4) Bel (Alfred): Tlemcen et ses environs, Toulouse, P. 4.
Marçais (Georges): Encyclopédie de l'Islam, Art. Tlemcen, P. 844.

(5) عن هذه الآثار أنظر: Piesse L. et Canal J., Tlemcen (Extrait de la revue de l'Afrique française), Paris, 1889, P. 6Sq.; Bel (A.), op.cit, P.8; Marçais (G.): Tlemcen, Paris, 1950, P.9; Thery, Tlemcen, évocation de son passé, Oran, 1945, P.22.

(6) أنظر: Piesse C. et Canal J., op.Cit; Bel (A): op.cit; Marçais (G): op.cit:

(7) أنظر: Piesse C. et Canal J., op.cit

(8) من عادة الرومان تقسيم طرق المواصلات إلى أجزاء متساوية يحددونها بنصب أميال؛ (أنظر: (Therry, op.cit,

(9) أنظر: Piesse et Canal, op.cit.

(10) op.cit.

(11) أنظر: Bel (A.): op.cit; Marçais (G.): op.cit

(12) أنظر: op.cit

(13) أنظر: Thery: op.cit, P.21; Marçais (G.): op.cit

(14) أنظر: Piesse et Canal: op.cit, P.8; Marçais: op.cit

(15) on.cit

(16) أنظر: دقلي (و.)، جدول التسميات الموضعية للإعانة على الدراسات والأبحاث الأثرية في المغرب العربي، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب، جامعة الجزائر، يناير، 1970، رقم 8، ص 46).

(17) أنظر Marçais (G.): op.cit دقلي (ع)، المقال السابق ص 58.

(18) مدينة بموريطانيا القيصرية تقع على البحر الأبيض المتوسط، كانت عاصمة Syphax ، ثم استعمرها الرومان وحلت محلها في العصر الإسلامي مدينة أرشقول، عنها أنظر: Dezobry et Bachelet: Dictionnaire de biographie et d'histoire, I. II, P. 2638

(19) أنظر: Marçais (G.): op.cit

(20) أنظر: Piessse et Canal: op.cit

(21) عنها أنظر: Op.cit

(22) عثر على شاهد قبر يحمل اسم امرأة ماتت في بوماريا، كما دفن بها طفل لأحد الضباط (أنظر ما قبل ص 5)

(23) أنظر: Piesse et Canal: op.cit

(24) فعلوا ذلك تلبية لنداء حاكم إفريقية الروماني بونيفاس Boniface فاحتلوا الموريطانيتين الطنجية والقيصرية وخربوهما سنة 429م ثم استولوا على عنابة Hippone رغم أنف Boniface 431م، وقد اضطر فالنسيان Valentien III إلى عقد معاهدة معهم سنة 435م تنازل لهم بموجبها عن الموريطانيين ونوميديا لكنهم سرعان ما نقضوا تلك المعاهدة واستولوا على قرطاج 439م وكل افريقية الرومانية التي بقيت تحت سيطرتهم إلى أن تغلب عليهم Bélissaire قائد الإمبراطور Justinien سنة 533م Dezobry et Bachelet: op.cit; T.II, PP. 2859-90

(25) أنظر: Marçais (G.) : op.cit, P. 10

(26) نقد ورد ذكر الإله أوليسفا في النصبين النذريين، (أنظر: ماقبل ص 4).

(27) L'Abbe J. Barges, Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, Paris, 1859, P.111 Sq

(28) المغرب، ص 76.

(29) ابن خلدون أبو زكريا يحيى، بغية الرواد، جـ 1، ص 91، وأجادير عند البربر هو حصن بداخله بحرات تمتلكها مختلف عائلات القبيلة لخزن الحبوب، كما تلجأ إليها في حالة انعدام الأمن.

E.I., Art. Aghadir T. I, nouvelle édition, P. 252

(30) ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، جـ 7، ص 156.

(31) نفسه.

(32) هو ميسرة المدغري رئيس الصفرية (ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تاريخ إفريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري، تحقيق ومراجعة بن كولان وإليفي بروفنسال، بيروت، 1948، الجزء الأول، ص 59)؛ عن نشاطه (أنظر: لقبال موسى، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن

حتى انتهاء ثورات الخوارج. سياسة ونظم، الجزائر، 1981، ص 157 فما بعدها؛ بن عميرة محمد. دور زناتة في الحركات المذهبية بالمغرب الإسلامي (122هـ - 440هـ / 739 - 1049م) ص 56 فما بعدها.

(33) هو عبيد الله بن الحبحاب بن الحارث، مولى بني سلول، كان كاتبا ثمّ أصبح عامل خراج مصر، وبعد ذلك عينه الخليفة هشام واليا على إفريقية فقدم إليها في ربيع الآخر سنة 116هـ (البيان، 1، 51؛ لقبال موسى، المرجع السابق، ص 106.

(34) أبو خالد حبيب بن أبي عبيدة ويسميه ابن عذاري حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع القهري (البيان، جـ 1، ص 51).

(35) طنجة هي: «كورة طنجة فهي مساكن صنهاجة وطريق الساحل من مدينة سبتة»، (المغرب، ص 104).

(36) معركة الأشراف: دارت قرب طنجة سنة 122هـ / 739م، بين خالد بن حميد الزناني - زعيم الصفرية بعد ميسرة المدغري - وبين خالد بن حبيب بن أبي عبيدة قائد عرب القيروان الذي قتل مع عدد كبير من أعيان العرب وأشرافهم، فسميت لذلك معركة الأشراف، (ابن عذاري، المصدر السابق، ص 107؛ بن عميرة محمد. المرجع السابق، ص 72 فما بعدها.

(37) عنها أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، جـ 1، ص 55.

(38) الصفرية هم أتباع ابن الأصفر، وهم من الخوارج، يختلفون عن الإباضية في حكمهم على القعدة عن القتال فلا يكفرونهم (أنظر التفاصيل عند الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم)؛ الملل والنحل، تحقيق كورتر، لندن 1842. جـ 1، ص 102؛ البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، تحقيق محمد زاهد بن الحسين الكوثري، 1948، ص 61؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، القاهرة 1939، حـ 4، ص 358؛ ابن خلدون. العبر، جـ 3، بيروت، ص 311).

(39) هو زعيم الصفرية ورئيس مغيلة وبني يفرن في المغرب الأوسط، بايعه الصفرية بالخلافة في نواحي تلمسان سنة 148هـ / 765 - 766م (العبر، 6، ص 225 - 226).

(40) حول نشاط أبي قرة (أنظر: لقبال موسى، المرجع السابق، ص 161؛ بن عميرة محمد، المرجع السابق، ص 68 فما بعدها)

(41) العبر، 7، 156.

(42) لكن ابن عذاري يقول بأنه عاد من الزاب ولم يصل إلى تلمسان لأن الجند السائر معه علم بفرار أبي قرة فقرر العودة (البيان، 1، 74؛ العبر، 7، 156؛ وإبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال الذي تولى المغرب للعباسيين من 184هـ إلى 196هـ / 800 - 812م، هو مؤسس الإمارة الأغلبية بإفريقية

E.I. Art. Ibrahim 1er b. Al. Aghlab, T.III Nelle éd. P. 1006

(43) هو إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب (المغرب، ص 118)؛ أو هو إدريس بن عبد الله ابن حسين بن الحسن بن علي (البيان، 1، ص 82)؛ الزركلي، الأعلام، 3، 188)، غادر المشرق إثر هزيمة الشيعة في معركة فخ أمام العباسيين في ذي الحجة 169هـ / جوان - جويلية 786م، ولحق بمصر مع مولاه راشد ومنها توجها إلى بلاد المغرب، فنزلا بوليلي ومن هناك بدأ إدريس يستميل القبائل حتى بايعوه يوم الجمعة 4 رمضان سنة 172هـ / فيفري - مارس 789م (البيان، 1، 83؛ العبر، 4، ص 13؛) أبو عبد الله التنسي، تاريخ دولة الأدارسة (من نظم الدر والعقيان) تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1984، ص 34 - 35.

(44) وقد يكون محمد بن خزر هذا هو الذي قضى على إمارة أبي قرة فتغلّب على تلمسان (العبر، 7، 157، جـ 2، 35 (ط. دوسلان).

(45) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تصحيح وطبع كامل يوحنا، أو بسآلة، 1948، ص. 7 و8، ويعتقد Bargès أن هذا المسجد هو الأول الذي أنشىء في تلمسان (المرجع السابق ص. 169)

(46) ابن عذاري، البيان، 1، ص 83، ابن خلدون، العبر، 2، ص 34 (ط. دوسلام) ابن أبي زرع، القرطاس، ص.4.

(47) ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1963، جـ 1

(48) العبر، 4، ص 34 (ط. بيروت)؛ ويذكر في مكان آخر أن إدريس «سجل له (أي لسليمان) ولاية تلمسان»، العبر، 2، ص. 34 (ط.دو سلان) عن هذا الموضوع أنظر، بن عميرة، المرجع السابق، ص. 146 فما بعدها.

(49) يذكر التنسي أن محمد بن خزر خرج إلى إدريس «مبايعا ومطيعا فأمنه وأبقاه أميرا على تلمسان...». (تاريخ دولة الأدارسة، ص 35).

(50) ترك إدريس الأول جاريته كنزة حاملا، فوضعت في ربيع سنة 175هـ / أوت ـ سبتمبر 791م، ولداً سمي بإسم أبيه، كفله راشد مولى والده، ثم خلفه أبو خالد يزيد بن الياس باسم أبيه إلى أن يوبع إدريس الثاني يوم الجمعة 7 ربيع الأول سنة 187هـ / فبراير 803 م. وكان قد بلغ من العمر إحدى عشر سنة (المغرب، ص 22؛ الحلة السيراء، 1، ص 53؛ أعمال الأعلام، 3، 196 ـ 197؛ القرطاس، ص 11 ـ 12؛ التنسي، تاريخ دولة الأدارسة ص 38).

(51) يبقى تاريخ غزوة إدريس الثاني لتلمسان غير مضبوط، ربما كانت قبل غزوة المصامدة التي قام بها في المحرم من سنة 197هـ / سبتمبر ـ أكتوبر 812م (البيان، 1، 211)؛ أو تكون تمت بعدها (المغرب، 123، الحلة السيراء، 1، 53 ـ 54؛ العبر، 4، 26 (ط. بيروت)؛ أو في محرم سنة 199هـ (القرطاس، 29) ويتعرض لها التنسي لكنه لا يحدد تاريخها (المصدر السابق، ص 40).

(52) العبر، 4، 27 (ط. بيروت).

(53) نفسه، جـ 2، ص 35 (ط. بيروت)؛ لكنه في مكان آخر عند حديثه عن مدينة تلمسان يقول إن «إدريس عقد لبني محمد بن عمه سليمان» (العبر، 7، 157)

(54) المغرب، ص 77؛ ويذكر أيضا أن سليمان دخل المغرب ونزل تلمسان لكنه لا يحدد تاريخ ذلك، ص 122.

(55) المغرب، ص 23.

(56) هناك اختلاف في سبب موت إدريس الثاني، ربما يكون غص بحبه عنب فمات (المغرب)، ص 123؛ أعمال الأعلام، 3، 203)؛ أو لعل حبة العنب هذه كانت مسمومة ويكون لزيادة الله بن الأغلب يد في ذلك (الحلة السيراء، جـ 1، ص 53)؛ أو توفي مسموما بطريقة غير محددة (البيان، 1، 211)

(57) العبر، 4، ص 34 (ط. بيروت).

(58) أو هو محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان (اليعقوبي، البلدان، ليدي 1861، ص 356)، أو هو محمد بن أحمد بن القاسم بن أحمد (العبر، 4، 35 دوسلام).

(59) هو عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان، وقد جاء في حديث ابن خلدون عن تلمسان أنها كانت في «سهان، عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان وأعمالها لبني محمد أبيه...» (العبر 7، 157). ويتفق معه البكري حيث يقول: «وكان لأبي العيش ومن خلفه مدينة تلمسان أيضا وما والاها...» (المغرب، 112)؛ بينما يقول قبل هذا أن عيسى بن محمد بن سليمان نزل بأرشقول ووليها وتوفي فيها سنة خمس وتسعين وما يتين...» (ص 78)؛ ويورد ابن عذاري قولين الأول ويبدو أنه نقله عن البكري: «وكان لأبي العيش أيضا وبنيه مدينة تلمسان وما والاها...» (البيان، 1، 20)؛ وفي الثاني أن أبا العيش هو الذي أسس مدينة جراوة سنة 257هـ، ووليها بعده إبنه الحسن بن أبي العيش (ص 196).

(60) جراوة: مدينة سهلية، أسسها أبو العيش، وبنى الحسن ابن أبي العيش حصنا على بعد أربعة أميال من المدينة بجبل مالو الذي يمتد قبليها، وهي تبعد عن تلمسان بمرحلتين (المغرب، 142 ـ 143؛ البيان، 1، 196)

(61) أرشقول: تقع على ساحل تلمسان، حكمها بعد أبي العيش إبنه إبراهيم الأرشقولي (المغرب، 77 ـ 78).

(62) العلويين: يذكر الإدريسي قرية العلويين على مرحلة من تلمسان في طريق فاس (وصف إفريقيا الشمالية ص 54)؛ ويذكرها البكري قرب وهران (المغرب، 71).

(63) ثمطلاس: قرية كبيرة تمتد في مضارب مطاطة وبقربها مدينتان: الحسنة وفالوس (أنظر: لقبال موسى، دور كنامة، في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي، الجزائر، 1979، ص 211).

(64) ترنانا: تقع على مرحلة من جراوة وهي قلعة عليها حصن (الإدريسي، المصدر السابق، ص 54)، وهي مركز علوي تابع لبني محمد بن سليمان (البكري المغرب، ص 80).

(65) حمزة: تسمى حمزة أو سوق حمزة، وتقع بين أشير ومرسى الدجاج، وتنسب إلى حمزة بن الحس لأنه هو الذي أسسها (البكري المصدر السابق، ص 64 ـ 65).

(66) تنس: تتكون من حصن على البحر وتسمى تنس القديمة، ومدينة حديثة تبعد عن الأولى بميلين (حوالي ثلاث كيلومترات)، أسسها بحارة من أهل الأندلس سنة 262هـ / 875 ـ 876م (عن وصفها أنظر: البكري، المصدر السابق، ص 61 فما بعدها).

(67) العبر، 7، 52 ـ 53.

(68) تتكون من مدينتين الأولى قديمة، والثانية «... أسسها عبد الرحمن بن رستم بن بهرام، وكان مولى لعثمان ابن عفان (رضه)، وكان خليفة لأبي الخطاب أيام تغلبه على إفريقية، ولما دخل ابن الأشعث القيروان، فرّ عبد الرحمن إلى الغرب... فاجتمعت إليه الإباضية وعزموا على بنيان مدينة تجمعهم، فنزلوا بموضع تيهرت وهي... بين ثلاثة أنهار... وذلك سنة 161هـ ...» (ابن عذاري، البيان، 1، ص 196؛ البكري، المغرب، 67 فما بعدها؛ الإدريسي، وصف...، ص 60).

(69) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء (القاضي النعمان، رسالة إفتتاح الدعوة، تحقيق ودار القاضي، بيروت، 1970، ص 59 فما بعدها)؛ وينسبه إبن عذاري إلى صنعاء فيسميه الصنعاني ـ (البيان 1، 124)؛ وجاء في معظم المصادر أن أبا عبد الله كان محتسبا في سوق الغزل بالبصرة، وكان يسمى المعلّم لأنه كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية أو لأنه كان يعلم الصبيان (العبر، 4، 32)؛ إبن حماد، تاريخ بني عبيد، ص

(70) وهو الذي قام بالدعوة الإسماعيلية في كتامة ببلاد المغرب وأسس الدولة الفاطمية بها، (رسالة إفتتاح الدعوة، ص 59 ـ 60؛ أنظر التفاصيل عند: لقبال موسى، كتامة، ص 231 فما بعدها).

(71) رقادة: تقع رقادة على بعد حوالي أربعة أميال من القيروان، أسسها إبراهيم بن أحمد الأغلبي سنة 263هـ، وانتقل إليها من القصر القديم وأصبحت دار ملك بني الأغلب حتى دخلها أبو عبيد الله الشيعي، وسكنها عبيد الله ثم انتقل منها إلى المهدية، فأصابها الخراب (المغرب، ص 27؛ وصف إفريقيا الشمالية، ص 78 ـ 79! الحلة السيراء، جـ 1، 172).

(72) كان يحكم الدولة الأغلبية أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم الأغلبي، انتقل إلى مدينة الأربس سنة 295هـ، أمام ضغط أبي عبد الله الشيعي، ومن هناك حاول استرجاع بعض المناطق، لكنه انهزم أمام الجيوش الشيعية، فدخل أبو عبد الله الأربس في جمادي الآخرة سنة 296هـ، وفرّ زيادة الله إلى المشرق، ثم تقدم الشيعي إلى رقادة فدخلها في رجب 296هـ، وهكذا انتهت الإمارة الأغلبية (العبر، 4، 72 فما بعدها، و439 فما بعدها).

(73) ابن عذاري، البيان، 1، 153؛ لقبال موسى، كتامة، ص 340 فما بعدها.

(74) البيان، 1، 153؛ العبر، 4، 72 فما بعدها.

(75) هو «عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب» (ابن حماد، تاريخ ملوك بني عبيد، ص6) وهو عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم ابن جعفر الصادق بن إسماعيل الإمام (العبر، 4، ص 64 و70)؛ طلبه العباسيون فخرج من سلمية بالشام إلى العراق ثم لحق بمصر ومعه إبنه أبو القاسم وخرج من الإسكندرية في زي التجار إلى طرابلس، ثم إلى سجلماسة فحبسه عاملها إلى أن أخرجه أبو عبد الله من سجنه وأدخله رقادة (العبر، 4، 75)؛ وسلم عليه بالإمامة في ربيع الآخر سنة 297هـ وملك إفريقية كلها والمغرب بأسره وطرابلس وجربة وصقلية، (تاريخ ملوك بني عبيد ص 9 و 11).

(76) أنظر، لقبال، كتامة، ص 345.

(77) البيان، 1، 154؛ أو هو إبراهيم بن غالب المراسي (الأعلام، 3، 77).

(78) هو عبد الرحمن الثالث بن محمد بن عبد الله أول خلفاء الأندلس (300 ـ 350هـ / 912 ـ 961م)
Levi Provençal (E): E.I., T.1, art. Abd. Al Rahmane III, nouvelle édition, PP. 85-86

(79) البيان، 1، 194؛ العبر، 2، 34 (ط. دو سلان)

(80) بغية الرواد، 1، 169؛ البيان، 1، 1945.

(81) عن هذا الصراع، أنظر: ابن خلدون، العبر، 6، 275 ـ 276 وهنا وهناك؛ لقبال موسى، كتامة، ص 357 فما بعدها من عدة صفحات، بن عميرة محمد، دور زناتة، ص 159 فما بعدها من عدة صفحات.

(82) العبر، 6، 275 (ط، بيروت).

(83) ابن خلدون، العبر، 2، ص 41 ـ 42 وهنا وهناك؛ بن عميرة محمد، المرجع السابق ص 258 ـ 259؛ عن المنصور بن أبي عامر، أنظر: ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت 1965، ص 169 ـ 170؛ الحلة السيراء، 1، 268؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص 249، هامش 7.

(84) هو هشام الثاني ـ المؤيد بالله بن الحكم الثاني، تولى الخلافة بعد أبيه في صفر سنة 366هـ /أكتوبر 976م، وهو في العاشرة من عمره، مات في ظروف غامضة بعد قيام الفتنة بالأندلس سنة 403هـ / 1013م أو سنة 451هـ /1059م
Dunlop (D.M.): E.I., T.III, Art. Hicham II) Nelle éd., PP. 512-513

(85) عن النفوذ الأندلس بالمغرب، منذ تمرد زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر إلى قيام الفتنة بالأندلس (أنظر: بن عميرة محمد، المرجع السابق، ص 259 فما بعدها من عدة صفحات).

(86) العبر، 7، ص 73 ـ 93 (بيروت)؛ أنظر: بن عميرة محمد، المرجع السابق، ص 277 فما بعدها عن قيام دولة المرابطين، أنظر: ابن أبي دينار (القيرواني)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، تونس 1387هـ / 1967م، ص 105 فما بعدها؛ ابن أبي زرع (الفاسي)، القرطاس، ص 84 ـ 85؛ إبن خلدون العبر، 6، ص 377 (بيروت):

(87) عنه أنظر: ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 377؛ عنان (عبد الله)، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، عصر المرابطين، القاهرة 1964، ص 36 فما بعدها.

(88) العبر، 6، ص 380 ـ 381 (ط. بيروت).

(89) نفسه، ص 381: يتحدث ابن عذاري عن حملة واحدة قادها مزدلي سنة 368هـ / 978 ـ 979م، ودخل تلمسان سلما، لأنه حمل من يوسف بن تاشفين كتابا عرض فيه الأمان للعباس أمير تلمسان مقابل تسليمها للمرابطين، فاستجاب العباس، وتوجه إلى مراكش وولى عليها مزدلي إبنه يحي (البيان، 4، ص69).

(90) هي تلمسان القديمة أو الحي القديم بتلمسان (العبر، 7، 95)؛ ويكتبها يحي بن خلدون تاجرارت، بناها ملك لمتونة يوسف بن تاشفين في حدود اثنتين وستين وأربعمائة هجرية (1132 ـ 1133م)، يمكان محلته، ولذلك سميت تاجرارت فهو إسم المحلة بلسان زناتة (بفيه الرواد، جـ 1، ص 91)

(91) ابن خلدون، العبر، 6، ص 380 (بيروت).

(92) عنها أنظر: العبر، 6، 324؛ بورويبة (رشيد)، الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها: الجزائر، 1977، ص 9؛ Idriss (H.R.): E.I , T.III, Art. Hammadides P.139

(93) هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي الكوفي، خليفة المهدي بن تومرت في رئاسة حركة التوحيد الإصلاحية المعروفة باسم الحركة الموحدية، وهو مؤسس الأسرة المنسوبة إليه
Levi Provençal (E.): E.I., T.1, Art. Abd. Al-Mumin b. Ali Nelle éd. PP. 80 Sq

(94) وقعت هذه المعركة بين جيش الموحدين بقيادة الخليفة الناصر وجيش النصارى بقيادة كل من ألفونسو الثاني ـ ملك قشتالة وسانشو ملك ناقار وبيدرو الثالث ملك أراغونه، ويعرف إسمها عند النصارى بموقعة هضاب أو عقاب تولوشا أو موقعة أبدة وعند المسلمين بموقعة العقاب لوقوعها بين الربي والتلال. وقد وقعت عند سفح جبل الشارات الجنوبي شمال غرب مدينة أبدة (عنان، المرجع السابق، ص 310 فما بعدها).

(95) نسبة إلى جدهم الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الحنتاتي، رفيق المهدي بن تومرت، استقلوا عن الدولة الموحدية وأسسوا إمارة بالمغرب الأدنى استمرت من 627 إلى 982هـ / 1229 إلى 1574م
Idriss (H.R.): E?I?, T.III, Art. Hafsides Nelle éd. PP. 86 Sq